Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقبل أن ننهى القول عن قصيدة أراجون ، رافضين تماما اعتبارها – أو اعتبار القصيدة السريالية – مجافية للتنظيم العقلى ، والإقرار بأن صورها مهوشة بلا هدف ، مؤمنين بعكس ذلك ، لنقرأ هذا الاقتباس المطول ، وهو يقربنا خطوة ، وقبل أن أقول كيف ، سأضعه فى سياقه النقدى ، فصاحبه (شوبرت) ساقه فى كتابه : « رمزية الأحلام » دفاعا عن الرومانسية ، ونزعتها التى تقدم الشعور على العقل ، ومن ثم تعتبر الحلم أدل على الحقيقة من اليقظة ، ولغته أقرب إلى لغة التعبير الفنى من اللغة الأدبية اليقظة التى ينبغى أن تحاكيه . والذى نرجوه هو أن نستحضر قصيدة « أراجون » أمامنا ونحن نقرأ عبارات شوبرت ، ونتأمل : هل يمكن اعتبارها حلما ؟ لقد ألمحنا إلى هذا الاحتمال حين قلنا إن السؤال الأخير فى القصيدة قد يعنى أن السائل هو المجيب ، أى أن القصيدة مجرد هاجس أو حلم . غير أننا نرغب الآن فى التوغل إلى نقطة أكثر تفصيلا تتعلق بلغة الحلم ومعانيها الرمزية ودلالاتها الأسطورية . يقول شوبرت :

« إن الروح تتكلم فى الحلم بلغة مغايرة كل المغايرة للغتنا العادية » . إذ تتمثل فيها الأفكار والأشياء فى صور مختلفة فى حين يعتمد فهمنا فى اليقظة على الكلمات التى خلقتها العلاقات الاجتماعية مع الناس . فلغة الأحلام شبيهة باللغة الهيروغليفية ، ولكنا نستطيع أن نحصل منها فى بضع لحظات مالا نستطيع أن نحصله بلغة الكلام فى ساعات كثيرة . ولذلك كانت لغة الأحلام أسرع وأقوى تعبيرا وأفسح مجالا من لغة اليقظة ، فهى أكثر منها تلاؤما مع طبيعة الروح – ولغة الأحلام لغة طبيعية ، تنبعث من ذات أنفسنا ، وبينها وبين العالم الخارجى صلة أوثق من صلة ذلك العالم بلغة الكلام ، لأن لغة الأحلام لا تستخدم اللغة التجريدية فى العبارات التى اصطلح عليها الناس ، بل تستخدم الصور والأشكال ، وهى نفس الطريقة التى تظهر لنا بها الأشياء الخارجية . والأحلام لا تتغير فى خصائصها العامة من شخص لآخر ، وفى ذلك دليل على أن لكل إنسان فى نفسه شاعرا لا يظهر إلا حين ينام ، وإنما يعبر عن معانيه فى صور تدل على حقيقة ما يريد . . وللأحلام كذلك لغة مجازية ، فقد يلذ لها أن تخبرنا عن الشىء بضده : فقد يدل المأتم مثلا على الزواج ، أو تدل الدموع على الفرح ، وكأن ذلك الشاعر الخبىء فى أنفسنا لا يستريح كل الراحة إلى ملذات هذا العالم ، وكأنه ينبهنا إلى سخرية هذه الحياة منا ، أو إلى أن ملذاتها موقوتة لا وزن لها ، وفى هذا ما يربط لغة الأحلام بالطبيعة ذاتها : « فالطبيعة وحى من الله للإنسان ، ولكن كلمات هذا الوحى تتمثل مخلوقات حية وقوى